

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾
(٣١ آل عمران).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي منَّ علينا باتباع الرؤف الرحيم سيدنا محمد، وجعلنا له من المتبعين.
والصلاة والسلام على إمام الأنبياء والمرسلين، والرحمة العُظمى لجميع العالمين سيدنا محمد ﷺ وآله وصحبه أجمعين.

أيها الأحبة بارك الله عز وجل فيكم أجمعين:

كان ختام كتابنا كما ذكرنا من قبل هو ذكر الواجبات علينا نحو رسول الله ﷺ مأخوذة من كتاب الله، وأدب الله للمؤمنين في قرآنه تبارك وتعالى.
وهذا الكتاب سميناه {الأفق المبين} وقد تحدثنا في المرة السابقة عن واجبين من واجباتنا نحو رسول الله ﷺ، وهو الإيمان به وطاعته، وذكرنا الأدلة على ذلك من كتاب الله تبارك وتعالى.

واليوم والليلة نتكلم عن وجوب إتباعه، وعندما نقول وجوب إتباعه أي أن إتباعه ﷺ ليس للمرء فيه حرية الاختيار، بل هو فرضٌ عليه أن يتبع رسول الله لأن الذي أمر بذلك هو حضرة الله تبارك وتعالى.

والواجب الرابع بعد ذلك هو محبته، والواجب الخامس هو الصلاة والتسليم عليه ﷺ.

ولما كان اللقاء القادم في الخميس القادم في مجمع الفائزين الخيري بالمقطم، سنتناول فيه الآيات التي تذكرنا بالصلاة على النبي:

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾

(٥٦ الأحزاب).

ويكون على هذا الأساس الحديث في الخميس القادم إن شاء الله بعد صلاة العشاء، في الصلاة على النبي ويشمل الجانب التفسيري الذي نسير فيه يوم الخميس الشهري في الآيات التي تتحدث عن حضرة النبي، ويشمل كذلك الواجب علينا جماعة المؤمنين في الصلاة والتسليم على ختام الأنبياء والمرسلين، فسيكون درساً واحداً في الإلقاء، لكنه يشمل الكتابين معاً لأنه في نفس الموضوع إن شاء الله.

المهم عندنا الليلة:

وجوب إتباعه:

هل يجب على المسلمين إتباع رسول الله ﷺ؟ وكيف يكون هذا الإتباع؟

وضَّح ذلك في آية كتاب الله التي يقول فيها الله:

﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

(٣١ آل عمران).

وعن سبب نزول هذه الآية:

السبب الأول:

ذكر علماء التفسير عدة أسباب للنزول في هذه الآية، وهي وإن كانت متفرقات إلا أنها متفقات في المعنى المطلوب، فإن الرسول ﷺ عندما هاجر إلى المدينة المنورة، دعا كعب بن الأشرف زعيم اليهود في المدينة ومن معه من اليهود من قومه إلى الإسلام والإيمان به، واتباع ما جاء به من الله، كما أمرهم بذلك نبي الله سيدنا موسى وكما ذكرت التوراة المنزلة عليه، فقال كعب:

نحن أبناء الله وأحباؤه، فأنزل الله لهم هذه الآية، أي إن كنتم تحبون الله حقاً. وهذه حجة يلزمكم البرهان والدليل على هذه الحجة، والدليل والبرهان على هذه الحجة أن تتبعوني.

السبب الثاني:

وكذلك وجد النبي ﷺ نصارى نجران عندما وفدوا إلى المدينة المنورة للتعرف عليه ومدارسته، وجدهم يعبدون عيسى بن مريم وأمه، فسألهم: لم تعبدون عيسى وأمه؟ فقالوا: ما عبدنا عيسى وأمه إلا محبةً لله، فقال لهم الله:

إن كنتم تحبون الله، وعبدتم عيسى وأمه محبة لله، إذاً كمال هذه المحبة أن تتبعوا ما نزل إليكم في كتبكم من عند الله، وتتبعوا ختام الأنبياء سيدنا محمد ﷺ وتؤموا به وتؤازروه وتعاونوه وتنصروه، وهذا هو السبب الثاني.

وهنا حدثت حادثة من أهل النفاق، فقد قال عبد الله بن أبي سلول رأس المنافقين في المدينة: إن محمدًا يريد أن نعبد كما عبدت النصارى عيسى بن مريم وأمه.

﴿فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ (٦٩ الأحزاب).

والسبب الثالث:

قيل أن النبي ﷺ عندما فتح الله عليه مكة، ودخل الكعبة فوجد الكفار يعلقون على الأصنام بيض النعام ويزخرفونها، ولا يوجد ضابط ولا رابط لذلك، فكل واحد منهم يُزخرف ويُصور ويضع ما يروق له، فقال ﷺ:

(ما هذه ملة إبراهيم التي تدعوها).

وكان أهل مكة يدعون أنهم على دين إبراهيم وعلى ملته الحنيفية، فقالوا كما قال عنهم الله:

﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ (٣ الزمر).

أي نعبد هذه الأصنام لتقربنا إلى الله، فخاطب الله تبارك وتعالى في هذه الآية المؤمنين برسول الله ﷺ من أهل ملته والمتبعين لشريعته، وأهل الملل الأخرى كلها، لأن من يزعم منهم أنه يحب الله، عليه أن يتبع إمام الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ.

إذاً الخطاب في هذه الآية للأولين والآخرين، ولأمم الأنبياء والمرسلين، كما هو خطابٌ لنا

جماعة المسلمين، فاتباعه ﷺ شرعٌ لهؤلاء جميعاً كما أنبأ رب العالمين سبحانه وتعالى.

في أي شيءٍ يتبعونه؟

يتبعونه في جميع ما جاء به من عند الله، لأن إتباع النبي دليلٌ على محبة الإنسان لربه، فالذي يحب الله ينبغي عليه أن يتبع رسول الله، والذي يريد أن يحبه الله عليه بمتابعة رسول الله ﷺ ليحبه موله.

ومن هنا فإن درجات الإتياع لرسول الله ﷺ تنقسم إلى ثلاث:
درجة المؤمنين:

وهم الذين يتبعونه ﷺ في أفعاله، في الصلاة والصيام والزكاة والحج وكل ما كان عليه في حياته، وهو الذي طلب ذلك فقال ﷺ:
(صلوا كما رأيتموني أصلي).

ومن خالف في صلاته صلاته ﷺ فصلاته باطلة.
وقال ﷺ في الحج:
(خذوا عني مناسككم).

فأمرهم أن يأخذوا مناسك الحج عن حضرته صلوات ربي وتسليماته عليه.
أما خواص الأمة قديماً وحديثاً:

هم الذين لا يكتفون بمتابعة أفعاله، بل يزيدون على ذلك بمتابعة أخلاقه الكريمة، التي مدحه بها الله وقال له فيها:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (٤ القلم).

فيتبعونه في عفوه وصفحه وكرمه وجوده وتواضعه ولينه وشفقته ورحمته، وغيرها من الأخلاق الكريمة التي قال فيها ﷺ:
(إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق).

أما خاصة الخاصة:

فيفيزيدون عن المتابعة في أفعاله، والمتابعة في أخلاقه بالمتابعة في أحواله الخاصة التي خصه بها مولاه سبحانه وتعالى في صدقه في مروءته في شجاعته في حُسن ظنه بالله، وحُسن ظنه في خلق الله، في كل الأحوال الكريمة التي جملة بها مولاه، وخصّه بها دون سواه ﷺ.

أما المحبة فالمحبة معناها الميل إلى لعمل بشرع الله، والرغبة في متابعة سيدنا رسول الله ﷺ. وأهل المحبة كذلك ينقسمون إلى ثلاثة أقسام:

محبة عامة المؤمنينك

وهي تكون محبة لرؤية النعم والإحسان من غيرهم لهم، وقد قال فيها ﷺ:

(جُبلت النفوس على حب من أحسن إليها).

فيحبونهم لدوام الإحسان ودوام الإكرام ودوام المعونة ودوام المساعدة.

أما محبة الخواص:

فيحبونه لما يرونه فيه بأعين قلوبهم صفات الجمال والكمال الإلهية التي جملة بها مولاه، وحباه بها وخصه بها دون سواه.

فهم في الحقيقة يحبون الله، لأنهم يحبون جمال الله، وإذا ظهر هذا الجمال في أي شخصٍ أحبوه لحبهم لله، وهذا حب أهل خاصة المؤمنين لجميع خلق الله أجمعين.

فهم يحبون الكريم لأنه يحمل بوصف الله الكريم، ويحبون العليم لأن الله جملة بإسمه عز وجل العليم، ويحبون الحكيم في تصرفاته، لأنهم يرون فيه دقة صُنع الله في كل أمرٍ فعله الله في الدنيا والآخرة وفي الملك والمملوك، وفي أي ناحية من نواحي عظمة الله تبارك وتعالى.

ولما كان لبنينا ﷺ الحظ الأوفر من الأسماء الجمالية، والأسماء الجلالية التي تتصف بها الحضرة الإلهية، أحبوه لأنهم شاهدوا فيه هذه الكمالات، وتمتعوا برؤية هذه الصفات فيه ﷺ.

قال ﷺ:

(أحبوا الله لما يغذوكم من النعم والآلاء، وأحبوني لحب الله لي، وأحبوا آل بيتي لحبي).
ويقول الإمام أبو العزائم مبيناً سر هذه المحبة:

[أحب ما فيك منه، فهو المحبوب له لا أنت].

حتى في قرارة نفسك أحب في نفسك القلب والروح الذين جعلهم الله سبحانه وتعالى لتلقي الإلهام والفتوح الإلهية.

وواللهم وأحرص على أن يكونوا دائماً وأبداً خالصين لله، تأتيك من الله سبحانه وتعالى عطاياه، وتفد عليك كل أنواع نعماء تبارك وتعالى.
وأما خاصة الخاصة:

فمحبتهم نتيجة للجذبة الإلهية السابقة لهم، فإن الله جذبهم إليه قبل خلق أجساد الخلق أجمعين، وقال فيهم في كتابه المبين:

﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ (١٠١ الأنبياء).

سبقت لهم الحسنَى قبل خلق الأكوان وقبل خلق الزمان والمكان، وهي عانية أزلية سابقة، وبين الله عز وجل سر هذه العناية في {ويحبونه} فحبه سابق وحبهم له لاحق، أي أن حبهم اللاحق نتيجة حبه السابق تبارك وتعالى.

ولذلك قال بعض الصالحين:

[إني لأعرف متى يُحبني ربي، فقليل له ومن أين معرفة ذلك؟ قال: هو عرفني، فقليل له:
أوحى بعد رسول الله ﷺ؟ قال: قوله {فاتبعوني يحببكم الله} وأنا في هذه الساعة في حالة إتباع لما شرع، أنا في اتباع الآن، وهو صادق القول فأعطاني الحال الذي أنا فيه أن الله مُحِبٌّ لي في هذه الساعة لكوني مجلّى لما أحب، وهو تعالى ناظرٌ إلى محبوبه، ومحبوبه ما أنا عليه].

فانظر إلى فقه الصالحين.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يرزقنا فقههم أجمعين.

وقول الله سبحانه وتعالى {فاتبعوني} . الأمر هنا للوجوب وليس للتخيير، فاتباع رسول الله ﷺ واجب على كل مسلم، وقد أقامه الله تبارك وتعالى بيننا إنساناً يأكل ويشرب وينام ويتزوج، ويفعل كل أفعال تقتضيها البشرية، حتى لا نقول أننا لا نطبق أن نتشبه به، لماذا وهو بشركم مثلكم؟

فيجب على كل مؤمن يريد أن يُحسن المتابعة لرسول الله ﷺ، أن يبحث عن عمله عليه صلوات الله وسلامه في كل شيء قبل أن يعمل هذا الشيء، حتى يعمل طبق عمله، فإذا أراد أن يفعل أي شيء: يأكل فينظر كيف كان يأكل، فيتابعه في كيفية.

يشرب فينظر كيف كان يشرب، فيتابعه في كيفية شربه للماء، وشكره للذي أنزل هذا الماء. ينام ينظر كيف كان ينام، وهكذا في كل أمرٍ من الأمور، ينبغي عليه أن يبدأ أولاً بالبحث عن الكيفية السديدة التي كان رسول الله ﷺ يعمل بها العمل، ثم يُقبل على العمل.

ومن هنا كان سبق الناس إلى مصاحبة الصالحين لأنهم يعلمون أن هؤلاء خير الخلق الذين إتبعوا سيد الأولين والآخرين، وكانوا حريصين على متابعته ﷺ في كل أحوالهم، فقد روي أن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله إمتنع عن أكل البطيخ زماناً، فقليل له: لم لا تأكل البطيخ وقد ورد أنه ﷺ كان يحب البطيخ؟

قال ورد إليّ بالسند الصحيح أنه كان يُحب البطيخ، ولكن لم يرد إليّ حديث يطمئن به قلبي كيف كان يأكل البطيخ.

فلما ورد إليه حديث إطمأن إليه أنه ﷺ كان يشق البطيخة نصفين، ثم يقسم كل نصف على هيئة هلال، ويأكل من اليمين متجهاً إلى الشمال، فأكل على هذه الهيئة.

فعلم الخلق أن الصالحين لا يُوجد دقة في اتباع سيد الأولين والآخرين كدقة هؤلاء، لحرصهم على تمام المتابعة لحضرته، فصاحبوهم ليتعلموا منهم كيفية المتابعة لحضرته في عصرنا هذا، أو في عصورهم لأنهم:

صور الحبيب المصطفى مثلاً له وهم المرئي للنبي بالاحترام
ومن هنا نخلص إلى نتيجة هامة وهي أن أمة النبي ﷺ هم الذين إتبعوا حضرة النبي،
وصاروا على نهجه، فكل من تبعه فهو من أمته، وكل من أعرض عن متابعتة فهو خارج عن
أمته، لأن أمته فرض الله عليهم أن يتبعوه ﷺ، وكلمة {فاتبعوني} في زمانه في صورته الظاهرة
الحمدية، وبعد زمانه في صورته الورثة الذين ورثوا أحواله الكلية صلوات ربي وتسليماته عليه لما
ورد في الأثر:

(من أراد أن يراني فلينظر إلى ورثتي، ومن رأى ورثتي فقد رآني).

لأنهم يمثلون حسن المتابعة لرسول الله ﷺ.

أيضاً في هذه الآية دليلٌ عظيم على أن النبي ﷺ لا يصل أي نبيٍّ أو رسولٍ إلى منزلته
ودرجته مهما فعل، لأن الله أمرهم جميعاً أن يتبعوه، ولا يتم بحالٍ من الأحوال أن يكون التابع
أفضل من المتبوع، فهو أفضل الخلق على الإطلاق والجميع ينبغي أن يقتدي به ويتبعه.
وتنبيةً آخر في هذه الآية وفي هذه الكلمة العظيمة أنه ﷺ معصومٌ ومنزّهٌ عن الخطأ، لأن
الله إذا أمرنا أن نتبعه حفظه وعصمه، فلا ينبغي أن يأمرنا بمتابعتة في أمرٍ يخالف شرع فيه ربه
تبارك وتعالى.

فهو معصومٌ في كل أحواله، فيتبع شرع ربه في كل آتاته، ولذلك ينبغي علينا إذا أردنا أن
يحبنا الله أن نتبع الرسول في أقواله وأفعاله وأحواله وآدابه التي كان يتأدب بها في الخروج من المنزل
وفي دخول المنزل، وفي دخول الخلاء والجلوس في الخلاء، وفي الخروج من الخلاء، وغيرها من
الآداب المبثوثة في كتب القوم الكرام، والتي قال فيها الأئمة العلام عن خير كتاب في هذه
الكتب ويُسمى {الأذكار} للإمام النووي، كانوا يقولون: بع الدار واشتري الأذكار.

فيتابعونه في كل ما قلناه، إلا الأشياء التي خصّه بها مولاه:

﴿وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنَّ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ (٥٠ الأحزاب).

فهذه خصوصية لحضرة النبي، فلا ينبغي لنا أن نتبعه فيها، ولكن نتبعه في الأمور العامة.
قال أبو اليزيد البسطامي رحمه الله:

[أحببتُ الله حتى أبغضتُ نفسي، وأبغضتُ الدنيا حتى أحببتُ طاعة الله، وتركْتُ ما دون الله حتى وصلتُ إلى الله، واخترتُ الخالق فاشتغل بخدمتي كل مخلوق].
ونختم حديثنا بما رواه أبو الدداء رحمه الله، ورواه عنه الحكيم الترمذي في كتابه {نوادير الأصول}
قال قال رسول الله ﷺ في قوله:

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (٣١ آل عمران).

على البر والتقوى والتواضع وذل النفس، وهذا الحديث يحتاج إلى شرح آخر.
نسأل الله تبارك وتعالى أن ينفعنا بما علمنا، وأن يعلمنا ما ينفعنا، وأن يرزقنا حُسن المتابعة
لحضرتة.

وصلّى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم